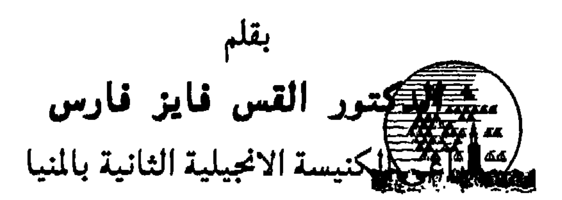
دار الثقافة

حرب الخليج
و
نهاية العالم

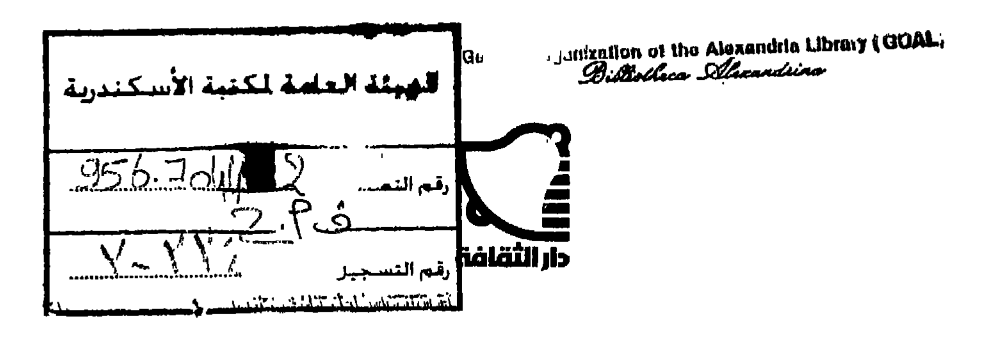
دكتور القس فايز فارس

حرب الخليج
و
نهاية العالم

بقلم



الدكتور القس فايز فارس
راعي الكنيسة الانجيلية الثانية بالمنيا



طبعة أولى

صدر عن دار الثقافة - ص. ب. ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٥٠٩ ط١ / ٣ - ٣ / ٩١

رقم الايداع بدار الكتب : ٥٠٨٢ / ١٩٩١

طبع بمطبعة دار الطباعة القومية

جمع في سيويرس ت: ٩٠٢٦٦٧ - ٩٠٦٦٨٣

مقدمة

كانت أزمة الخليج التي نشأت نتيجة استيلاء العراق على الكويت، والحرب التي دارت لتحريرها مثار تساؤلات كثيرة بين الناس، فمنهم من رأى أنها تحقيق لنبوات وردت في الكتب المقدسة، ومنهم من قال إنها إنذار بنهاية العالم.

وكان لا بد أن يقوم علماء الدين بتوضيح رأيهم للناس في هذه الأمور من واقع مسئوليتهم في التعليم.

وهذه محاولة لواحد منهم، يحرص أن تكون رسائله من على منبره مواكبة ومعاصرة للأحداث.. لذلك فمنذ أزمة الخليج وهو يحرص في رسائله الروحية على توضيح وجهة نظره في هذه القضية الهامة.

وهذا الكتاب يحوي ثلاث عظات حول هذا الموضوع ألقيت في التواريخ الموضحة بكل منها، يمكن أن نستخلص منها العديد من الدروس.

دار الثقافة

(١)

أزمة الخليج ونبوات انتهاء العالم

ألقيت يوم الأحد الموافق ٣٠ سبتمبر ١٩٩٠

أزمة الخليج والأيام الأخيرة

«متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب... لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان» (متى ٢٤: ٣٣ و٤٤).

نشرت جريدة التايمز الإنجليزية مقالاً يوم السبت الموافق (١٩٩٠/٩/٢٢) قالت فيه إنه بالرغم من أن منطقة الخليج تبعد عن أمريكا آلاف الأميال، إلا أن بعض الشيع والجماعات الدينية في أمريكا -كعادتها في كل المناسبات- اتخذت من أزمة الخليج برهاناً آخر لتأييد نظرياتها التي تقول إن نهاية العالم قد اقتربت جداً.

وقد امتلأت المكتبات بالكتب التي تشرح النبوات التي تتحدث عن مجيء المسيح ثانيةً. وقال البعض إن تقارب أمريكا مع روسيا والاتفاق بين الرئيسين بوش وجورباتشوف هو بداية لأن تلعب روسيا دوراً في الشرق الأوسط.. تكون نتيجته الحرب مع إسرائيل، والتمهيد لمعركة هرمجدون ونهاية العالم.

كذلك تهلل شهود يهوه وهم يطرقون أبواب البيوت من باب

إلى باب ليعلنوا هم أيضاً نظريتهم بأن ملكوت الله قد اقترب.

وقد تطوع أحد المبشرين الغيورين في أمريكا بأن يضع رسالة مسجلة في تليفون خاص تنبه كل من يطلب الرقم الذي ذكره إلى أن نهاية العالم قد اقتربت، وأن اقتران استخدام الأسلحة النووية مع الأسلحة الكيماوية وتلوث البيئة وظهور أمراض خطيرة لم تُعرف من قبل مثل مرض الايدز وزيادة التعصب والانفجار السكاني وازدياد التوتر بين مختلف القوميات.. كل هذه الأمور تنذر بأن خراب العالم قريب وأن البشر بشرورهم قد عجلوا بقدوم هذا الخراب.

بل إن هذه الرسالة قد وصلت بصورة معتدلة إلى أسماع الرئيس بوش نفسه عن طريق صديقه الواعظ الشهير بيلي جراهام.. فقد كان يعظ في موطن الرئيس بوش في Kenne-bunk Port بولاية Maine وكان الرئيس بوش حاضراً في الكنيسة، ووعظ بيلي جراهام عن المعنى الكتابي لبابل وقال للسامعين إن الأحداث التي تجري الآن في الخليج قد تكون لها دلالة روحية، فإن الموقع الجغرافي **لبابل** هو الآن في العراق. وقال بيلي جراهام إن هذا المكان هو الذي ابتدأ فيه التاريخ، وإن الكتاب المقدس يعلمنا أن التاريخ سينتهي من حيث

ابتدأ..

وهنا في مصر، نجد نفس الأفكار والتفسيرات، وقد جاءني كثيرون يستفسرون ما إذا كان ما يحدث الآن يعتبر تحقيقاً لما جاء في نبوات وردت في سفر إشعياء أو دانيال، أو زكريا..

هل العراق الآن يمثل أشور الذي قالت عنه النبوة في إشعياء ص ١٠ «ويل لأشور قضيب غضبي. والعصا في يدهم هي سخطي، على أمة منافقة أرسله وعلى شعب سخطي أوصيه ليغتنم غنيمة وينهب نهباً ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة؟» (إش ١٠: ٥ و٦).

أو هل ما يحدث الآن خاصة ما يجري بين العراق وإيران هو تحقيق لما جاء في إشعياء ١٣ عن بابل والماديين؟ والتي فيها تصير بابل وهي زينة فخر الكلدانيين كسدوم وعمورة؟

أو هل المحاولات التي يقوم بها اليهود لإعادة بناء الهيكل في أورشليم هي التمهيد لنهاية العالم ومجيء السيد المسيح ثانيةً؟

لكل هذا شعرت أنه من واجبي أن أقدم لكم رسالة توضح الموقف المتوازن الذي يجب أن نتخذه من هذه التيارات الفكرية

المتعددة.. وسأقصر حديثي على ثلاث نقاط هي:

١- مجال تحديد الأزمنة ليس من سلطان البشر.

٢- واجب الاستعداد الدائم لمواجهة الله لا يتطلب تحديد الأزمنة.

٣- الانشغال بفكرة نهاية العالم لا يجب أن يعوقنا عن مسئولياتنا الحاضرة.

١- مجال تحديد الأزمنة ليس من سلطان البشر

من طبيعة البشر حب استطلاع المستقبل، والتلذذ بالقدرة على عمل حسابات وتقديرات تُوحي لهم بأنهم تمكنوا من اختراق غياهب المجهول، واستطاعوا أن يعرفوا شيئاً عن آخر الأيام.. وحتى تلاميذ المسيح أنفسهم كانت لديهم هذه الرغبة، ذلك أنه فيما كان الرب يسوع نفسه يحدث تلاميذه بعد القيامة عن موعد الروح القدس، إذ بهم يسألونه عما كان شائعاً عندهم عن الأمور المتعلقة بالآخرة. فقال لهم بصورة قاطعة «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه (أع ١: ٧).. وفي موضع آخر من الأناجيل قال المسيح «أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب» (مر ١٣: ٣٢).

وبالرغم من ذلك فالناس يصرفون الوقت والجهد في محاولة توفيق تفسير بعض عبارات ونبوات الكتاب المقدس، وتطبيقها على ظروف معينة في التاريخ المعاصر، ليستنتجوا من ذلك أن هذا الحدث أو ذلك الشخص أو تلك الظروف هي المقصودة في النبوات..

والحقيقة أن نبوات الكتاب المقدس مكتوبة بأسلوب رمزي حتى يمكن أن يفهمها كل فرد بالأسلوب الذي يحمل إليه رسالة روحية خاصة.. وبعض النبوات تحققت في أحداث معينة في الماضي، ويمكن أن تتحقق بصورة أخرى في المستقبل، ولذلك لا يمكن أن تنطبق النبوة وتقتصر على حدث معين بالذات..

ولا ينبغي أن ننسى أن مختلف الأديان عندها نفس هذه المسألة، ففي تراثها الديني وكتبها المقدسة ما يشبه النبوات عن نهاية العالم، وهي متقاربة ومتشابهة مع ما ورد في العهد القديم.

وقد إلتقيت منذ أسابيع مع صديق مسلم من أساتذة الجامعة وذكر لي أنه في التراث الإسلامي ما ينبيء أيضاً عن نهاية العالم وظهور المسيح الدجال، وهذا مرتبط أيضاً بالحروب بين الأمم وبعودة اليهود إلى فلسطين.. وعند اليهود أنفسهم انتظارات لمجيء المسيح، وهم لا يعتقدون أنه قد جاء بالفعل، ويريدون بأساليبهم السياسية أن يحققوا هذه الانتظارات.

وأغلب الناس يقعون في مصيدة التفسير الحرفي لهذه النبوات مع أن الجَزم والقطع بتفسير حرفي معين يعرض الناس

لكثير من الأخطاء.. فالذين يظنون اليوم أن صدام حسين هو الوحش، أو المسيح الدجال لأنه اتخذ لنفسه أسماء مثل أسماء الله، يقعون في الخطأ الذي وقع فيه آخرون في الماضي، عندما ظنوا أن نابليون أو هتلر أو موسوليني هو المسيح الدجال أو الوحش، وحاولوا توفيق رموز الحروف على اسمه ليجدوا أنها ٦٦٦ بطريقة أو بأخرى وقد ثبت أن واحداً من هؤلاء جميعاً لم يكن هو المسيح الدجال..

إن الله وحده يحتفظ لنفسه بسلطان معرفة الأزمنة والأوقات، وهو يمسك بزمام التاريخ وأحداثه ويتمجد في كل ما يحدث.. هذا ما يجب أن ندركه ونثق به.. لكن محاولة اختراق حجب المستقبل أمر ينهي عنه الكتاب المقدس.

٢- واجب الاستعداد الدائم لمواجهة الله لا يتطلب تحديد الأوقات

منذ أربعة أعوام قدم أحد الوعاظ المشهورين عظة رائعة في مدينة المنيا.. فَهِمَ منها الناس أن الشواهد تؤكد أن نهاية العالم ومجيء المسيح ثانية ستكون خلال عام ١٩٨٨ أو ١٩٨٩ بحسب استنتاجات أوردها في العظة «وتهافت الناس على اقتناء أشرطة تسجيل هذه العظة».

وقد انتهزت فرصة لقاء ودي مع هذا الواعظ والصديق العزيز، وسألته لماذا يصر على أسلوب تحديد مواعيد ولو تقريبية لمجيء الرب مع أن هناك احتمال الخطأ في هذا التفسير. فقال لي: «وما الضرر إذا كان هذا يساعد على توبة الناس؟»

وهكذا يفكر البعض، مدفوعين بدوافع الغيرة على خلاص النفوس وتقريب البعيدين، كما أن بعض المؤمنين الذين يعانون آلام هذه الحياة يشتاقون إلى مجيء الرب لتنتهي الآلام والدموع، وتزول المتاعب، ومن ثم يبدأون حياة السعادة الأبدية مع الرب..

على أنني أعتقد أن واجب الاستعداد الدائم، لا يقتضي

تحديد موعد لمجيء الرب والتركيز عليه، لأسباب كثيرة أذكر منها سببين:

١- السيد المسيح نفسه أراد أن يُبقي هذا الأمر مجهولاً ومخفياً عن البشر، لكي يكونوا مستعدين في كل لحظة. وقد قال بوضوح: «إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا.. لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان» (متى ٢٤: ٢٣-٢٧).

ومع أنه قال: «متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب. «لكنه قال أيضاً اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم.. كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ربكم». فالمسيح يريدنا أن نكون مستعدين في كل وقت.. لأنه لا يعلم أحد الموعد ولا الساعة حتى أن الرسول بولس قال لأهل كورنثوس مرة: «نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور».. (١كو ١٠: ١١).

فتحديد سنة معينة في ظروف معينة لنهاية العالم ثم عدم حدوث ما تتوقعه لا يساعد الإنسان على التوبة بل قد يزيد القلوب قساوة، أو يجعل الشكوك تساور البعض في صدق

النبوات.. والحقيقة أن النبوات صادقة لكن تفسير البعض لها هو الذي جانبه الصواب.

النبوات توضح لنا أن هناك دينونة للشر، وأن هناك فرصاً جديدة يمنحها الله للخير.. وأنه في وسط الدينونة والخراب، ينبت الله زهرة حياة جديدة، وفي وسط الغضب يذكر الرحمة.. هذا هو المضمون الأساسي للنبوات، دون الدخول في تفاصيل محددة، قد نتلذذ بوضع جداول وخرائط لها، لكننا عندما نتبين عدم حدوث ما توقعناه.. نضطر إلى تعديلها وإعادة تشكيلها.

٢- حتى إذا لم تكن نهاية العالم خلال سنوات عمرنا فإن مواجهتنا لدينونة المسيح كأفراد وكأمة قد تكون في أى لحظة وفي كل موقف..

- لماذا نتصور أننا سنواجه الله والمسيح عند نهاية العالم فقط؟

إن كل موقف نجتازه، هو مواجهة لنا مع المسيح.. وفي كل مناسبة نتخذ فيها قراراً.. وفي كل حالة اضطراب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي.. في موقف الاختيارات الصعبة.. في أوقات الألم أو الخسارة أو المرض أو الحزن العميق، كل هذه مواقف نواجه فيها المسيح..

بل إن بعض النبوات التي يظنها الناس إشارة إلى نهاية العالم، لا تشير إلى انقضاء العالم، بل إلى انتهاء حقبة من التاريخ وبداية حقبة أخرى.. وهذا الانتقال من مرحلة إلى أخرى يتضمن قلاقل واضطرابات.. أمور تزول، وأمور يبزغ نورها من جديد..

وهذا يحدث كثيراً، وربما عدة مرات في الجيل الواحد. وبعض ما جاء في متى ٢٤، ومرقس ١٣ كان لا يشير إلى نهاية العالم، بل إلى يوم الرب، الذي خُربت فيه أورشليم تنفيذاً لقول المسيح «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً». وقد قال المسيح الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون الكل. كان ذلك اليوم كأنه نهاية الدنيا بالنسبة للساكنين في تلك البلاد.

والمسيح لا يسعده أن نظل لاهين عنه، منشغلين بنزواتنا أو أطماعنا أو أنانيتنا.. ثم ننتظر لكي يأتينا إنذار من واعظ يقول لنا بحساباته وتفسيراته إن نهاية العالم قد اقتربت، فنترك ما نحن فيه ونبدأ في التوبة والرجوع إلى الله.. كلا..

إن هذا الأسلوب المسرحي لا يتلاءم مع رغبة الله أن نحيا له كل الوقت، أن نسلك بحسب وصاياه كل يوم..

أنت تواجه المسيح دائماً.. إن لم يأت المسيح لك على سحاب السماء وتسمع أصوات البوق الأخير، فسيأتي إليك المسيح في أزمة تعانيها.. في موقف يهزك ويجعلك تعيد حساباتك، أو في دعوة شخصية لك أن تلاقي الرب بانتهاء حياتك..

فكن دائماً مستعداً أن تلاقي الرب إلهك..

٣- الانشغال بفكرة نهاية العالم لا يجب أن يعوقنا عن مسئولياتنا الحاضرة

جميل أن نكون مستعدين دائماً لمجيء الرب يسوع المسيح.. لكن هذا الانتظار الجميل لا يجب أن يأخذنا في أحلام وردية، وشطحات روحية، تجعلنا ننسى أو نهمل مسئولياتنا الحاضرة..

وقد حدث مثل هذا الأمر في أيام حياة بولس الرسول، وفي كنيسة تسالونيكي كان الناس يتوقعون أن المسيح سيأتي سريعاً في غضون حياتهم الحاضرة.. لذلك امتنعوا عن العمل، وسلكوا بلا ترتيب، وقالوا ما فائدة العمل والمجهود والمسيح آتٍ سريعاً وقريباً.. هؤلاء كتب إليهم بولس الرسول قائلاً:

«فإننا أيضاً حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا أنه إن كان أحد

لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً.

لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب. لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون. فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم» (٢تس ٣: ١٠-١٢).

وإذا كانت نهاية العالم قد اقتربت، فلنقم بمسئولياتنا الحاضرة خير قيام وعندما يجيء المسيح فإنه يجدنا نقوم بواجبنا، فيكافئنا على جهادنا..

- إن انتظارنا لنهاية العالم لا يجب أن يشجعنا على الأحلام بل على الكفاح..

كذلك فإننا لا ينبغي أن نفترض أن تفسير بعض الناس للنبوات هو خطة الله الحتمية للعالم، فنندفع إلى قبول بعض الأوضاع الخاطئة ونحجم عن محاولة تصحيح هذه الأوضاع..

فإذا قيل لنا إن الأحداث الفلانية هي تحقيق لنبوات الكتاب المقدس، وقبلنا هذا التفسير كحقيقة مؤكدة، فإننا نتعرض لقبول المظالم والشرور التي تحدث من بعض الشعوب أو الدول، ولا نقاومها..

وهذا في حد ذاته هروب من مسئولياتنا الأخلاقية.. وبعض الدول تستغل أحلام الناس وانتظاراتهم الدينية لكى تحقق أهدافها السياسية..

ان مسئوليتنا هي أن ننظر إلى كل عمل وكل حادث في ضوء الواقع، فنقاوم الشر حيثما وجد، ونصحح الخطأ إذا استطعنا..

لنترك التاريخ لسيد التاريخ، ولنقم نحن بمسئوليتنا، عالمين أن الله سيحاسبنا عن مسئوليتنا الشخصية..

إن هذا العالم سيزول حتماً...

اليوم وغداً أو بعد ألف سنة...

لكننا سنواجه المسيح اليوم

وسنواجهه كل يوم

وقد تكون المواجهة النهائية بالنسبة لأى شخص منا أقرب مما نتصور..

فيا من تضيعون وقتكم وجهدكم في تخمينات وتفسيرات للنبوات

اعلموا أن الله يواجهنا في كل لحظة من حياتنا
فانشغلوا بمسئوليتكم الروحية والاجتماعية والوطنية
قوموا بالواجب الذي يطلبه الله منكم الآن
فإذا جاء المسيح إلينا أو أخذنا المسيح إليه،
نكون بالحق في أمان.

(٢)

صورة من
انهيار الأمـــان

ألقيت يوم الأحد الموافق ٢٠ يناير ١٩٩١

صورة من انهيار الأمان

«وأنت اطمأننت في شرك (وثقت بخبثك)

قلت ليس من يراني.

حكمتك ومعرفتك هما أفتناك (أزاغاك - أضلاك)

فقلت في قلبك أنا وليس غيري

فيأتي عليك شر لا تعرفين فجره

وتقع عليك مصيبة لا تقدرين أن تصديها

وتأتي عليك بغتة تهلكة لا تعرفين بها» (إش ٤٧: ١٠ و١١)

إذا قرأنا هذه الآيات، فأول ما يتبادر إلى أذهاننا أنها نبوة قد تحققت هذا الأسبوع في دولة العراق التي هي الموقع الحالي لمملكة بابل القديمة، والكلام في هذه الآيات موجه بالفعل إلى بابل كما يظهر في بداية الأصحاح.

والناس عادة يسعدهم أن يكتشفوا أقوالاً قديمة، تتحقق في العصر الحاضر، ويعتقدون أن هذا الاكتشاف يزيد من إيمان الناس بالوحي الإلهي.

والواقع أن الكتاب المقدس لا يحتاج إلى اكتشافات وظنون وحجج البشر الحديثة للبرهنة على صدقه... فقد ثبت ذلك منذ كتابته، بآيات الله، وسلطان كلمة الله في نفوس البشر على مدى التاريخ الإنساني.

والكتاب المقدس فيه كثير من النبوات التي تحققت في زمانها، وعرف الناسُ بعد وقوع الأحداث أنها تحقيق للنبوات، كما أن الكتاب المقدس فيه نبوات تحققت مرة بصورة ما، وربما تتحقق مرة أخرى بصورة مختلفة...

لكن الأهم في الكتاب هو رسالته الباقية الخالدة لكل الناس في كل عصر. وإنني شخصياً أقرأ الكتاب المقدس من هذا المنطلق فأجد فيه رسالة روحية عظيمة خالدة.. وبهذا المعنى قرأت القصيدة الشعرية الرائعة والعميقة والمؤثرة الموجودة في الأصحاح السابع والأربعين من سفر إشعياء.. فهي مكتوبة بالشعر العبراني، والترجمة العبرية لها نثراً فيها الكثير من الصور الأدبية والبلاغية التي تترك في النفس أبلغ الآثار..

هي قصيدة شعرية ونبوة عن بابل في نفس الوقت، وجهها الله إلى بابل على فم إشعياء النبي..

ودارسو التاريخ يعلمون أن الله سيد التاريخ، يستخدم

الدول والممالك والشعوب كلها لتحقيق مقاصده لكنه في نفس الوقت يتطلب من الجميع السير حسب مبادئه في العدل والرحمة والحق والفضيلة، ويعاقب كل أمة وكل فرد لا يطيع وصاياه، ولا يسلك في سبله.

لقد غضب الله على شعبه في العهد القديم وأراد أن يعاقبهم، فسمح لمملكة بابل أن تهزمهم وتسبيهم وتأسر أفضل الناس وتأخذهم عبيداً في مملكة بابل.

لكن مملكة بابل، تكبّرت وتجبرت، وظنت أنها دولة لا تقهر وأساءت معاملة الناس الذين سبتهم وأسرتهم ولم ترحمهم بل استعبدتهم عبودية قاسية، ولم ترحم حتى الشيوخ منهم.

وجاء وقت عقاب تلك الدولة.. إن الله لا يترك عملاً شريراً دون عقاب... وفي وقت معين، هيأ الله دولة فارس لتكون أداة عقاب لبابل..

هذه النبوة التي جاءت على لسان إشعياء النبي في صورة قصيدة شعرية أو مرثاة، هي إعلان من الله لبابل أن عقابها قد حان.

وسأحاول أن أقرأ بعض كلمات هذه القصيدة من (إش ٤٧: ١-١١) مع تبسيط وتوضيح بعض المعاني الصعبة، وإذا

تابعتم الكلام معي في الكتاب المقدس يمكنكم استيعاب المعاني بشكل أفضل.

يقول الله لبابل:

«انزلي واجلسي على التراب (يا بابل) التي لم يقهرها أحد، اجلسي على الأرض بلا عرش لك لأنك لن تعودي فيما بعد إلى حياة التنعم والرفاهية..

- خذي الرحى واطحني الدقيق كما تفعل الجواري واكشفي نقابك فقد زالت كرامتك، وشمري ذيل ثيابك واكشفي عن ساقيك وأنت تعبرين مجاري المياه فتنكشف عورتك ويظهر خزيك. فقد رأيت أن أنتقم ولن أقبل وساطة أحد.. أنا رب الجنود قدوس إسرائيل.. اجلسي صامتة وادخلي في الظلام لأنك لن تعودي تدعين سيدة الممالك.

لأني عندما غضبت على شعبي وسمحت أن أدفعهم ليدك، لم ترحميهم وثقلت نيرك جداً حتى على الشيوخ منهم.

وقلت إني إلى الأبد سأكون سيدة ولم تضعي في قلبك عاقبة ما تفعلين.

فالآن اسمعي أيتها المتنعمة الساكنة في الدعة مطمئنة

قائلة في قلبها أنا وليس غيري. لا يمكن أن أقعد أرملة أو أفقد أبنائي.. انظري.. سيأتي عليك كلا الأمرين معاً فجأة، ففي يوم واحد ستفقدين أبناءك وتترملين. ستأتي عليك هذه بالرغم من أنواع سحرك وكثرة تعاويذك التي تتصورين أنها ستنفعك.

لقد وثقت بشرك وخبثك، وقلت لن يراني أحد.

حكمتك ومعرفتك أزاغاك وأضلاك.

فقلت في قلبك أنا وليس غيري.

فانظري أنه سيأتي عليك شر لا تعلمين بفجره، وتدهمك داهية أو مصيبة لا تقدرين أن تصديها.

ويأتي عليك فجأة هلاك لا قبل لك به..

- إننا لو قرأنا هذه القصيدة على أنها نبوة تحققت مرة في القرن الرابع الميلادي، وقد تتحقق مرة أخرى في القرن العشرين.. فقد ندخل في جدل لا فائدة منه، ولا يُجدينا نفعاً..

لكننا لو قرأناها على أنها رسالة دائمة من الله لكل الشعوب ولكل الأفراد، استطعنا أن نجد فيها درساً، وتعلمنا

كيف يتعامل الله مع الإنسان، سواء كجماعة أو عائلة أو فرد. وإني أرجو أن يكون هذا هو اتجاهنا عندما نقرأ الكتاب المقدس، فنجد لأنفسنا دروساً بدلاً من مجرد الانبهار بالتاريخ، فإن الذي لا يتعلم من التاريخ، جاهل..

في هذه الآيات نجد صورة من انهيار الأمان والسلام فجأة.. هنا نجد دولة قد أعطاها الله قوة وسلطاناً وحكمة وثروة واستطاعت أن تنال انتصارات على جيرانها.. لكنها تكبرت وتجبرت ولم ترحم، لذلك تكلم عليها الله بهذه النبوة. وهذا أسلوب يعامل به الله الجميع.

دعونا نبحث عن أسباب الأمن والسلام في هذه الآيات، ونحن نجده على الأقل في ثلاثة أمور :

- الطمأنينة الباطلة
- الحكمة المضللة.
- الأنانية القاتلة.

١- الطمأنينة الباطلة

جميل أن يعيش الإنسان مطمئناً في سلام.. يقول المرنم «الرب نوري وخلاصي ممن أخاف. الرب حصن حياتي ممن

أرتعب... إن نزل عليَّ جيش لا يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن.... لأنه (الرب) يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته». (مز ٢٧)

هذه هي الطمأنينة الحقيقية، لأنها مؤسسة على الإيمان بالله، الذي هو فوق الظروف والأحداث..

لكن هناك اطمئناناً باطلاً وكاذباً وخادعاً.. وهو المبني على الأوهام، وعلى الغرور..

وهكذا كان اطمئنان بابل.. لقد اعتمدت على الثروة والسلطان.. فقادها ذلك إلى الغرور والأوهام.. لأن غرور الغنى يخدع الإنسان، والثروة قد تأخذ جناحين وتطير في لحظة.. والسلطان قد يزول، والامتيازات قد تضيع..

ونحن نسمع الوحي يخاطب بابل ويقول لها إن عرشها سينهار فتجلس على التراب وعلى الأرض.. ولا تعود تحيا في رفاهية بل تطحن الدقيق على الرحى كالجواري..

لقد اتكلت على سلطانها وقوتها وتصورت أنها لا يمكن أن تترمل وتفقد أولادها، وإذا بها تفقد أبناءها وتترمل في يوم واحد.. لأنها لم تعترف بالواقع، وقالت في قلبها لن يراني

أحد... ليس من يراني، أى أنها تستطيع أن تفعل ما تريد دون أن يراجعها أحد.. استمعت إلى المنافقين المطبلين لها.. ولم تستمع إلى صوت الله يحذرها.

وهذه هي المأساة في حياة الأمم وفي حياة الأفراد.. عندما لا يستمع الإنسان إلى النقد البنّاء، ولا يسمع سوى أصوات المادحين الذين يكلمونه بالناعمات.. فيصل إلى الحالة التي يقول فيها:

«إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء». وهو لا يعلم أنه الشقي والبائس والفقير والأعمى والعريان. كالمريض الذي لا يعترف بالمرض، بينما المرض يسري في أوصاله وفجأة يسقط صريعاً بلا قوة ولا حركة..

- إن صوت الحق مكروه عند بعض الناس.. فقديماً قال إرميا النبي الحق وأعلن دينونة الله على شعبه، فما كان من الكهنة وقادة الشعب إلا أن حبسوه بل ضربوه.. وقال الله إن أنبياء الكذب يشفون كسر بنت شعبي على عثم قائلين سلام سلام ولا سلام (إرميا ٨: ١١).

- وفي عهد حزقيال النبي غضب الله على أنبياء الكذب الذين يرون لأورشليم رؤى سلام ولا سلام (حز ١٣: ١٦).

- ويقول بولس الرسول عن هؤلاء الذين يعيشون في اطمئنان كاذب. «لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة.... فلا ينجون» (١تس ٥: ٣).

فلنحذر من الطمأنينة الكاذبة...

ولنتمم خلاصنا بخوف ورعدة...

ولنحرص على سماع صوت الله لنا ولا نتصور أننا فوق مستوى النقد، بل ندرب أنفسنا دائماً ليكون لنا ضمير بلا عثرة.. فقد قال بولس الرسول «أقمع جسدي وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً» (٢كو ٩: ٢٧).

فإذا كان بولس يقول هذا. فماذا يمكن أن نقول نحن؟

السبب الثاني لانهيار الأمان هو:

٢- الحكمة المضللة

يقول الوحي لبابل «حكمتك ومعرفتك هما أزاغاك»

وهل يمكن أن تكون الحكمة مضللة تفتن الإنسان؟

- نعم.. فإن المعرفة العقلية بدون الإيمان والمحبة تقود إلى الخراب.. وهذا ما نشاهده بوضوح في أنواع الأسلحة الفتاكة

التي توصل العلماء إليها.. فهي تقود العالم إلى الخراب والدمار.. بينما لو ارتبط العلم بالإيمان والمحبة فإنه يساعد على خير الإنسانية وتقدمها.

فالعلم وحده والحكمة البشرية وحدها قد تصيب الإنسان بالكبرياء والقسوة فتكون شراً عليه.. لذلك قال الرسول بولس بالوحي «العلم ينفخ ولكن المحبة تبني» (١كو ٨: ١)

- إن الحكمة السماوية تقود إلى التصرف الحسن والوداعة لا الكبرياء.. والعالم الحقيقي متواضع.. أما أدعياء العلم فهم متكبرون.

- لقد اتكلت بابل على علمها وعلى أوهامها من السحر والتعاويذ ولم ينفعها هذا العلم، ولم تنفعها التعاويذ وأعمال السحر.

ومن يطلبون العلم والحكمة، يجب أن يطلبوا معها الإيمان لكي ينالوا من الله حكمة السماء لا حكمة الأرض.

وقد شرح يعقوب الرسول هذا الأمر بوضوح في الأصحاح الثالث من رسالته قائلاً: «ومن هو حكيم وعالم بينكم فلير أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة... ولكن إن كان لكم غيرة مرة وتحزب في قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على

الحق.

ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية.... وأما الحكمة التي من فوق فهي أولاً طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة. عديمة الريب والرياء» (يعقوب ٣: ١٣-١٥ و١٧)

- فاحذروا من الحكمة الأرضية لأنها مضللة.

- احذروا من الحكمة والمعرفة التي تزيدكم قسوة وكبرياء ولا تترفق بالجهال البسطاء لأنها معطلة.

- احذروا من الحكمة المبنية على الخرافات والتعاويذ لأنها باطلة.

- واطلبوا حكمة الله الوديعة المتواضعة ورأس الحكمة مخافة الرب.

السبب الثالث لانهيار الأمان هو

٣- الأنانية القاتلة:

اسمعوا إلى صوت بابل وقد اغترت بما لها من قوة وسلطان.. اسمعوها تنسى الغير.. بل تنسى الله وتقول في قلبها «أنا وليس غيري».

- لاحظوا أمرين هنا: الأمر **الأول** هو أن هذا القول لا يستطيع أن يقوله غير الله سبحانه وتعالى.. وهو ليس غيره إله.. لكن الكبرياء مع الجهل دفعت دولة بابل أن تقول هذا القول..

وهي تدفع آخرين كثيرين أن لا يروا إلا نفوسهم، ويؤلهون نفوسهم.. ففي نظر أنفسهم هم لا يخطئون.. ولا يسيئون الفهم.. رأيهم في نظرهم دائماً صواب وغيرهم خطأ.. يطلبون أن يعتذر لهم الناس، وهم لا يعتذرون لأحد، ويطلبون أن يفكر فيهم الناس ويخطبون ودهم لكنهم لا يفكرون في أحد..

هذه هي الأنانية القاتلة..

- ثم لاحظوا أيضاً أن هذا القول لا يُقال علناً.. أى أن الإنسان لا يصرح به.. ولكنه يقول ذلك في قلبه «قلت في قلبك.. أنا وليس غيري». أما في الظاهر فقد يظهر الإنسان بمظهر المتواضع والضعيف والخجول لكن المشكلة هي ما يعتقده في نفسه.. هذه هي مشكلة كثيرين من الناس.. شعارهم المثل الدارج «يا روح ما بعدك روح» أو «أنا وبعدي الطوفان» أو المثل العربي «إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر» أى إذا كنت أنا سأموت من العطش، فلا يهمني إذا كان المطر ينزل أم لا..

- هذه هي الأنانية القاتلة..

- وهي قاتلة لأنها مرتبطة بالكبرياء..

والكبرياء جعل الملاك شيطاناً..

- وهي قاتلة لأنها تفقد الإنسان إنسانيته..

فيكون الإنسان هو مركز ذاته.. لا يهتم إلا بمصلحته.. وهذا هو انعدام الحب.. لأن جوهر الحب هو العطاء.

وكم من أناس عاشوا لأنفسهم في أنانية وحب ذات.. ومر الزمان، وانفض عنهم الناس الذين كانوا يحيطون بهم بسبب مراكزهم أو سلطانهم.. ووجدوا أنفسهم في وحدة وعزلة قاتلة.. بلا صديق..

- فمن لا يعطي.. لا يجب أن يتوقع أن يأخذ..

هذه الأنانية موجودة في الأفراد وموجودة أيضاً في المجتمعات..

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، فالمجتمعات التي لم تفكر في مستقبل الأجيال القادمة بالتخطيط السليم.. ربما تمتعت قليلاً في الوقت الحاضر.. لكنها قتلت المستقبل.

تجريف الأرض الزراعية وبناؤها مساكن للحصول على

مكسب كبير وسريع.. جعل بلادنا التي كانت تُعطي من خيراتها لغيرها وتُمون الجيران بالقمح والحبوب جعلها تشتري شهرياً بالمجهود الشاق أو بالديون أو بالمعونات الحبوب اللازمة لاطعام شعبها....

عدم تنظيم الأسرة اعتماداً على أقوال مرسلة لها مظهر الإيمان.. جعل الانفجار السكاني يبتلع كل مجهود للتنمية..

إن من يقول «أنا وليس غيري» سواء أكان فرداً أو عائلة أو دولة سيكتشف يوماً ما انهيار أمانه ومستقبله.

وفي ختام هذه الرسالة أرجو أن أقول في المحبة لمن هم منشغلون أكثر من اللازم بالنبوات وتحقيقها:

- انشغلوا بالرسالة الروحية للأنبياء فإنها مؤكدة وحاسمة، ومطاليب الرب واحدة من الجميع، ومسئولية الكل أمام الرب واحدة، وما ينطبق على بابل ينطبق على أشور ومصر والعراق وأمريكا وكل الدول.

- والبر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية.

- والبر يرفع شأن الفرد وعار الفرد الخطية.

واعلموا أنه عندما ينهار الأمان.. يكون ما أتعس

الإنسان.

اسمعوا قول الله لبابل القديمة:

وأت وثقت بخبثك وشرك.

قلت ليس من يراني

حكمتك ومعرفتك هما أزاغاك

قلت في قلبك أنا وليس غيري

فيأتي عليك شر لا تعرفين فجره

وتأتي عليك مصيبة لا تقدرين أن تصديها

وتأتي عليك بغتة تهلكة لا تعرفين بها..

عندما نسمع هذا نقول يارب احمنا من هذا الخطر الفظيع... يارب لا تسمح لنا أن نختبر - سواء في بلادنا أو في أشخاصنا - هذه الصورة المفزعة لانهيار الأمان.

لكن التمنيات وحدها لا تكفي لكى تحمينا من هذا الخطر..

يجب أن نعرف أسبابه، ونبتعد عنها...

- عن الطمأنينة الباطلة المعتمدة على أوهام ومظاهر وإمكانات من دون الله.

- عن الحكمة المضللة التي مصدرها الأرض بشرها وخرافاتها.

- عن الأنانية القاتلة.

- بهذا يحمينا الله من انهيار الأمان.

آمين

(٣)

ملكوت الله وحركة التاريخ

ألقيت يوم الأحد الموافق ٢٧ يناير ١٩٩١

ملكوت الله
وحركة التاريخ

«حتى تعلم أن العلي متسلط في مملكة الناس ويعطيها من يشاء»

(دانيال ٤: ٢٥)

«قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»

(مرقس ١: ١٥)

«متى صليتم فقولوا..... ليأت ملكوتك»

(لوقا ١١: ٢)

نسمع كل يوم أخبار الحرب والدمار، ونرى صوراً حزينة مؤسفة من مآسيها، ويتساءل البعض: لماذا سمح الله بهذا الخراب؟

لقد خلق الله العالم جميلاً، فلماذا يرضى بخرابه على هذه الصورة؟ فهل هو حقاً صاحب الأمر والنهي في هذا العالم، أم أن حركة التاريخ بعيدة عن سلطانه. وما هي نتيجة هذه الأحداث المحيرة التي تقع حولنا؟

أرجو أن أتأمل معكم اليوم في العلاقة بين ملكوت الله وحركة التاريخ.

ولنفكر أولاً في كلمة «التاريخ».

. يدرس الطلاب في المدارس مادة التاريخ، وفي دراستهم يتعلمون تعاقب الحكومات على مختلف الدول، وحركات الشعوب والأمم، والصراعات والحروب بين مختلف الدول وما شابه ذلك من الموضوعات...

والتاريخ مرتبط بالجغرافيا... بل إن الجغرافيا تلعب دوراً كبيراً في أحداث التاريخ، فالدول تتصارع ضد بعضها البعض بسبب الجغرافيا التي تحدد أهمية مواقع البلاد، وتحدد ثروات كل منطقة سواء في المحاصيل أو المعادن أو البترول وغيرها.

وكثيرون من الطلاب يتضررون من دراسة المواد الاجتماعية لأنهم يتصورونها أو تعلموها على أنها مجرد حفظ أسماء وتواريخ مختلفة أو رسم خرائط وتحديد مواقع....

لكن الواقع هو أننا نعيش التاريخ، ونسكن الجغرافيا - ومقومات حياتنا المادية والاجتماعية تتوقف على التاريخ والجغرافيا...

وحرب الخليج التي تدور رحاها الآن لتحرير الكويت، نموذج واضح لأهمية التاريخ والجغرافيا.

* * *

ثم نعود إلى تساؤلنا: وما هي علاقة التاريخ والجغرافيا بحياتنا الدينية والروحية؟

وبعض الناس يتساءلون: إذا كان الله مسيطراً بالحق على حركة التاريخ، فلماذا كل هذه الويلات؟

والبعض يقولون: إذا كانت هذه الحروب نتيجة لشر الإنسان، ألا يمكن أن نتجاهلها ونحيا بعيداً عن متاعب الدنيا بتاريخها وجغرافيتها، ونعبد الله في هدوء وسلام؟

إن من يقولون هذا القول - مع أنهم يقولونه عن إخلاص

وتجرد، ولكنهم في نفس الوقت يريدون أن يفصلوا بين الحياة الروحية والحياة الاجتماعية... أو بتعبير آخر يريدون أن يعزلوا الله عن التاريخ وعن حياة البشر...

وهذا أمر مستحيل...

فنحن لا نستطيع أن نعزل الله عن التاريخ وعن الجغرافيا... فالله هو الذي خلق هذه الأرض «في البدء خلق الله السموات والأرض» (تك ١: ١) - والله هو سيد التاريخ، أو بلغة الكتاب المقدس التي وردت عندما أعلن دانيال النبي عن قضاء الله على نبوخذ نصر الملك بأن يُطرد من بين الناس سبعة أزمنة قائلاً له «حتى تعلم أن العلي متسلط في مملكة الناس يعطيها من يشاء (دا ٤: ٢٥) أى أن الله سيد التاريخ.

إذاً فسواء أردنا أم لم نرد، الله هو الملك والسيّد، وسلطان اللہ يُعرف في الكتاب المقدس بالتعبير «ملكوت الله» ونحن لا يمكن أن نفصل بين ملكوت الله وحركة التاريخ..

هذا الموضوع واسع جداً ومتشعب، كتب فيه علماء اللاهوت مجلدات كثيرة يصعب تلخيصها في عظة أو عظات، لكنني شعرت أنه من واجبي أن أقدم لمحة في هذا الموضوع لتصحيح

أفكارنا والإجابة على بعض تساؤلات الناس:

(١) ملكوت الله في التاريخ الإنساني.

(٢) دور أبناء الملكوت في حركة التاريخ.

أولاً: ملكوت الله في التاريخ الإنساني

تحدث السيد المسيح كثيراً عن ملكوت الله أو ملكوت السموات. وفي بعض الأحاديث يبدو لنا أن ملكوت الله قد أقبل إلى العالم بمجيء السيد المسيح. وفي بعض الأحاديث الأخرى يبدو لنا أن ملكوت الله أمر نتطلع إلى مجيئه في المستقبل.

ففي بداية خدمة السيد المسيح، يصف مرقس البشير هذه الخدمة بالقول:

«وبعدما أسلم يوحنا (المعمدان) جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مرقس ١: ١٤-١٥).

وفي حديث السيد المسيح إلى اليهود الذين اتهموه بأنه يخرج الشياطين بقوة بعلزبول رئيس الشياطين قال لهم يسوع.

إنه لا يمكن أن يكون الأمر هكذا لأن الشيطان لا يحارب نفسه. وكل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب ثم قال لهم: «ولكن إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (لوقا ١١: ٢٠).

إذاً فملكوت الله قد جاء بمجيء المسيح.

لكن بعض أقوال المسيح الأخرى تظهر لنا كأن هذا الملكوت شيء ننتظره في المستقبل.

فعندما عَلَّم المسيح تلاميذه الصلاة الربانية طلب منهم أن يطلبوا قائلين «ليأت ملكوتك» وبعض أمثال المسيح ومنها مَثَل الحنطة والزوان ومثل الشبكة المطروحة في البحر وغيرها توحي لنا بأن ملكوت الله سيتحقق في المستقبل، ولذلك نحن نطلب مجيئه.

فكيف نوفق بين الأمرين؟

الجواب على ذلك هو:

إن الله هو سيد التاريخ، لكن عدو الخير يعمل في قلوب البشر لكي يقاوموا سلطان الله... وكأن الله يوجه رسالة الدينونة على الشر، ورسالة الرحمة للتائبين عن طريق الأنبياء في العهد القديم.

لكن في ملء الزمان عمل الله شيئاً عجيباً. أراد أن يصالح العالم الشرير لنفسه، فدخل الله في التاريخ الإنساني واخترقه في شخص يسوع المسيح كلمة الله المتجسد.

أراد الله أن يجسّد ملكوته وسلطانه وحبّه للعالم وانتصاره على الشر عن طريق الإنسان يسوع المسيح. أراد الله أن يؤسس ملكوته بصورة ظاهرة من خلال هذا الشخص الطاهر القدوس الذي وقف ضد شر العالم وأنانيته، فأعلن عن طريق كلماته وتعاليمه وحياته مبادىء ملكوت الله، كما أعلن عن طريق آلامه وموته وقيامته هزيمة الشر، وسلطان الله على البشر.

وبهذا المعنى نستطيع أن نقول إن ملكوت الله قد أقبل بمجيء المسيح إلى العالم.

لكن هذا الإله الذي اخترق التاريخ الإنساني بتجسد المسيح، لا يزال يعمل في العالم، ليجعل جميع الأشياء تعمل على تحقيق قصده الكامل... فلم يكن التجسد هو النهاية، بل كان البداية.

والله يعمل - كما يقول بولس الرسول في رسالة أفسس «لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح» (أف ١:

.(١٠).

إذاً فملكوت الله قد أتى بالفعل، لكنه سيأتي أيضاً، أى سيتحقق كماله عند انقضاء العالم، فهو عملية مستمرة متحركة في التاريخ... والتاريخ كله -تاريخ الملكوت بشكله الجديد- يتحرك بين هاتين الفترتين: مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني.

وإن كنا أحياناً لا نستطيع أن نفهم تماماً ما يعمله الله في حركة التاريخ، ونتساءل: ما هي حكمة الله في هذه الحوادث أو المآسي التي يقاسيها الأبرياء، كما يحدث اليوم، فإن هذا التساؤل أمر طبيعي بالنسبة للبشر لأن الله لا يكشف كل خطته للناس مسبقاً، أو كما قال بولس الرسول «لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً... لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد» (رو ١١: ٣٤ و٣٦).

لكننا وإن كنا لا نعرف خطة الله إنما نعلم أنه يعمل، وبالنسبة لبعض الحركات والأحداث التي تجري في العالم، نعلم أنها إعلانات عن دينونة الله ورحمته.

الله يعمل في هذا العالم، لكن هذا العالم يتكون من بشر خطاة، يثورون ضد الله وضد مشيئته ويقيمون لأنفسهم

مؤسسات تتحدى الله.

وعلى مدى التاريخ نرى كيف أراد الإنسان أن يتحدى الله ويستقل عنه، ويجعل لذاته اسماً أو يجعل نفسه نداً لله.. وكثير من المؤسسات السياسية تشهد بكبرياء الإنسان ونحن نرى نتيجة هذه الكبرياء في أنواع الصراع بين القوى في العالم...

والله يعمل في العالم، بمزيج من الدينونة والرحمة... فهو لا يسمح لأي مؤسسة بشرية أن تتحداه وتضع نفسها مكان الله وتتسلط على الناس.. لذلك فهو يزلزلها ليقيم من بين حطامها فجر نور جديد وحياة جديدة للتائبين الطائعين لله.

نقرأ قصة قديمة في سفر التكوين عن الناس الذين أرادوا أن يبنوا لأنفسهم مدينة وبرجاً رأسه بالسماء لكي يصنعوا لأنفسهم اسماً في الأرض -هذه هي كبرياء الإنسان- لذلك بلبل الله ألسنتهم وبددهم على وجه الأرض، ودعى اسم تلك المدينة التي لم يكملوا بناءها، بابل (تك١١).

هذه القصة تتكرر في التاريخ بصورة أو بأخرى، فإن الله يزلزل كل مؤسسة وكل دولة تريد أن تؤله نفسها. فهكذا فعل مع بابل قديماً، وهكذا فعل مع الإمبراطورية الرومانية، ومع

ألمانيا الهتلرية. ومع الدولة الشيوعية.... وهكذا يفعل مع كل دولة تتحدى الله، فكل هذه المحاولات تقع تحت دينونة الله.. لكن - لأن الله صالح العالم بنفسه في المسيح، لذلك فإنه في وسط الدينونة يذكر الرحمة، ويقدم الخلاص، وذلك عن طريق هدم القديم وبناء الجديد.

هذه هي ثورية الإنجيل أن إله الدينونة هو نفسه إله الرحمة، وأن كل دينونة وخراب، تشتمل على فرصة للتوبة والتغيير - فعندما يهدم الله شيئاً فإنه يقيم مكانه إمكانات جديدة للحياة.

هذه هي الرسالة التي يوجهها الله إلينا.. إننا في كل أزمة نجتاز فيها، لابد أن يكون في مضمونها معنى نبحث عنه لنفهمه.. فلا ننظر فقط إلى الخراب والدمار ودينونة الأنانية والظلم فنشعر بالإحباط، بل يجب أن ننظر أيضاً إلى الجانب الآخر من أعمال الله إنه في الغضب يذكر الرحمة، ويعطى فرصاً جديدة للتوبة والحرية، التي عبر عنها السيد المسيح بحياته وتعليمه وموته وقيامته.

ولقد كان صليب المسيح نفسه صورة حية لما يمكن أن يفعله شر الإنسان... كان الصليب بالنسبة للتلاميذ أزمة حقيقية

ومأساة مفجعة هزت كيانهم... لكن الله أخرج من آلام الصليب وظلامه الدامس فجر القيامة ونور الخلاص...

وأزمة الصليب بما فيها من معاناة، تتكرر في كل أزمة في التاريخ، فنحن نجتاز في النار، لكن النور يخرج من النار، ونحن قد نعيش فترة في المجهول، لكن اليقين والفرج يأتي إلينا من وسط الشكوك والضيق. وهذه هي قصة ملكوت الله وسط حركة التاريخ، ومن الضروري علينا أن نستوعبها جيداً.

ثانياً: دور أبناء الملكوت في حركة التاريخ

إذا كان الله يعمل في العالم لتحقيق أهداف ملكوته وسلطانه، فما هو دور أبناء الملكوت؟ - الجواب هو أن الله يعمل عن طريق أبنائه المؤمنين به ومن خلالهم. مع أن الكنيسة لها ضعفاتها كمؤسسة تتكون من بشر لهم نقائص وعيوب... لكن الله يريد أن يحقق قصده من خلال الكنيسة إذ أنها تعلن للناس سيادة الله على الجميع - والكنيسة رغم ضعفاتها لم تفقد رسالتها للعالم، وعليها أن تشعر دائماً بهذا الالتزام: إنها نور للعالم، وملح للأرض.

هذا الالتزام يفرض على أبناء الملكوت عدة مواقف اذكر منها ثلاثة:

(١) الالتزام الأول: إنه من منطلق إيمان المسيحي بسيادة الله على العالم، **يجب عليه أن يشترك بجدية في الحركات السياسية المعاصرة...** لكن اشتراكه يجب أن يكون مختلفاً عن اشتراك الشخص العادي الذي يتحيز ويتعصب وينافق ويتربح من مواقفه السياسية.. ذلك لأن المسيحية تساعد الإنسان أن يتخطى محدودية الرؤية التي تفرضها الحركات السياسية على الإنسان - فالناس أحياناً يؤلهون النظم التي تحفظ حياتهم، ويدافعون عنها بتعصب أعمى خاصة إذا شعروا أنها مهددة.. لكن المسيحي من واقع إدراكه أنه لا يوجد نظام بشري كامل ومطلق، يدرك أن كل النظم يجب أن تخضع للإصلاح الدائم، لذلك لا يتعصب المسيحي أو (يتشنج) وهو يحاول أن يبرهن على صحة قضيته السياسية، أو عدالتها - لكنه يهتم بالتأكد من أن موقفه لا يبتعد كثيراً عن مباديء الملكوت التي غرسها المسيح فيه، ويكون على استعداد للتراجع إذا اكتشف ابتعاده عنها.

وعلى المسيحي وهو يشترك في خدمة القضايا العامة أن لا يتسرع ويتصرف كأنه هو الذي يعبر عن فكر الله، أو كأن الله دائماً في جانبه، ويعتبر غيره من أعداء الله... فقد يكون مخطئاً أو متحيزاً... فإن الله ليس بالضرورة في جانب الاتجاه

الذي يختاره المسيحي، فقد يخطيء المسيحي كإنسان محدود في الاختيار، لكن الله دائماً في جانب العدالة والحق، لذلك يجب أن يكون المسيحي ضميراً ناقداً في وسط كل نظام يحيا فيه، ليكون أقرب ما يكون إلى العدالة والحق.

(٢) الالتزام الثاني: هو أن يحاول المسيحي إدراك القصد من التغيير، فلا يتعصب دائماً للوضع الراهن. إنه من طبيعة الإنسان أن يخشى التغيير لأنه يهدد مواقع أمنه واستقراره، لكن المسيحي -وهو يدرك أن الله يتحرك في التاريخ ليقوده إلى تحقيق قصده- يجب أن يدرك أن التغيير سيأتي حتماً، وسوف تتهاوى بعض المؤسسات وتحل محلها نظم وأفكار جديدة.. فلا يجب أن ينزعج المسيحي من التغيير كأن نهاية العالم قد جاءت، بل يجب أن يفهم ماذا يريد الله من هذا التغيير للعصر الذي يعيش فيه...

وعندما ينظر المسيحي إلى التغيير في ضوء نشاط الله الدائم في التاريخ فإنه بذلك ينتصر على الخوف وبدلاً من أن يشل الخوف تفكيره، ويتوقف عن الحركة الفكرية... فإنه يعيش في حالة من التفكير الخلاق ويتعلم كيف يتقدم وسط القلاقل بخطوات ثابتة نحو ميادين التغيير التي يعمل الله

فيها...

هذا الاتجاه يختلف تماماً عن مجرد الاستسلام السلبي للأمر الواقع، أو الخضوع للأقدار... لأنه يتميز بالإيجابية والتفكير الخلاق والتجاوب المستمر مع ما يشعر به المسيحي أنه إرادة الله.

(٣) الالتزام الثالث: أو الموقف الثالث هو أن المسيحي وسط كل عوامل الاضطراب، عليه أن يحيا على أمل ورجاء... حتى لو كان المستقبل أمامه مجهولاً أو مظلماً..

هذا هو المعنى الحقيقي للرجاء المسيحي والثقة في الله... إن بعض الناس يتصورون أن الرجاء معناه أن الله يعفي المؤمنين من اجتياز الآلام أو معاناة التغيير.

وبعض الناس يتصورون أن الرجاء المسيحي هو في الحياة الأخرى فقط فيما بعد انتهاء هذه الحياة.. ولذلك يعيش الإنسان متضرراً من الحياة متوقعاً وطالباً انتهاء حياته ليتمتع بالأمجاد..

صحيح أن لنا رجاء في المسيح، رجاء في الحياة الأخرى... لكن لنا فيه أيضاً رجاء في هذه الحياة - عندما قال بولس الرسول «إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا

أشقى جميع الناس» لم يقصد أن ينفي رجاءنا في المسيح في حياتنا الأرضية بل ثبته وجعل الرجاء يتعدى هذه الحياة إلى الحياة بعد الموت..

والله قد أنار لنا بواسطة الإنجيل الحياة والخلود.

نحن لا نهرب من الواقع بالأحلام أو التمنيات.... لكن رجاءنا مؤسس على أننا نعرف معنى التاريخ، وندرك أن الله في وسط الدينونة التي يدين بها شرور العالم، يذكر الرحمة.

وبينما يشعر الكثيرون باليأس نحيا نحن على رجاء فلا يتسرب اليأس إلى حياتنا، لأننا نعلم أن الله سيد التاريخ فنستطيع أن نقول بحق:

إن نزل عليّ جيش لا يخاف قلبي

إن قامت عليّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن

(مز ٢٧: ٣)

ذلك لأننا نؤمن أننا نرى جود الرب في أرض الأحياء

(مز ٢٧: ١٣).

هذا الرجاء لا يجعلنا كسالى أو خاملين أو سلبيين أو حالمين، لكنه يجعلنا أكثر اجتهاداً، لنفهم أمور الدنيا، ونعمل

في مختلف المجالات بهمة وتكريس وجدية عالمين أننا لسنا تحفاً تزين الملكوت إلى أن يجيء الملك لكننا أدوات في يد الله يستخدمنا لتحقيق قصده في التاريخ، بالمشاركة الجادة المسئولة.

• • •

إن ملكوت الله بدأ بصورة ظاهرة بدخول المسيح إلى عالمنا كإنسان، والملكوت يتحرك مع التاريخ ومع الأحداث ليصل إلى نهايته وكماله بمجيء المسيح ثانية.

وهذا يحتم علينا أن لا نبقي خاملين ونقول إننا في انتظار مجيء المسيح، ولا نبقى مهملين الحاضر في انتظار المستقبل.. بل يجب أن نعلم أن ملكوت الله داخلنا فيجب أن نتحرك في الحاضر، لنحقق المستقبل.

فإن لم نقم بمسئوليتنا في الحاضر، فلن نتمتع بالمستقبل بل لن يكون لنا مستقبل...



أثارت أزمة الخليج تساؤلات عديدة .. في أمور كثيرة .. يتعلق بعضها بنهاية العالم . وفي هذا الكتاب يناقش الكاتب هذا الفكر والدروس المستفادة من تلك الأزمة .. لقد خلق الله العالم جميلاً .. فلماذا يرضى بخرابه ؟ هل الله حقًا هو صاحب الأمر والنهي في هذا العالم ، أم أن حركة التاريخ بعيدة عن سلطانه ؟ وما المقصود بملكوت الله في التاريخ الإنساني ؟

يسرنا أن نقدمه لقاريء العربية حيث يجد فيه ردًا على كل ما أثير حول ذلك من تساؤلات .

دار الثقافة



١٠١٠٠٨١٩